المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٠ — الموافق ٢٥ رجب سنة ١٣٢٨

عجائب المخلوقات

سمكة تعيش في التراب

كان جماعة من الفلاحين يحفرون في ترعة بني هلال على مقربة من ناحية شندويل شمالي مدينة سوهاج في شهر يونيو الماضي فعثروا على سمكة كبيرة في التراب على عمق ثلاثين سنتيمتراً من سطح الارض . والترعة المذكورة نيلية اي لا تصلها المياه الاَّ في زمن الفيضان فتبقى جافة من شهر دسمبر الى شهر اغسطس . فلما رأى الفلاحون هذه السمكة ذعروا وولّوا هاربين وزادهم خوفاً انها كانت تصرخ صراخاً شبيهاً بخوار العجول الصغيرة . ثم هدأ روعهم فعادوا اليها واخرجوها من التراب وجاؤوا بها اليَّ وهي على قيد الحياة فوضعتها في فسقية عاشت فيها نحو اربعين ساعة وماتت

وهي مثلثة الجسم . رأسها لاصق بجسمها كانهما قطعة واحدة وجمجمتها مفلطحة ومثلثة الشكل . عيناها صغيرتان جداً بالنسبة الى حجمها وهما واقعتان في مؤخر الفك العلوي . ولها اربع اسنان شبيهة باسنان الكلاب اثنتان منها في الفك العلوي واثنتان في الفك السفلي وطول السن الواحدة نحو نصف سنتيمتر . وكنا اذا وضعنا الجريدة الكبيرة في فمها تكسرها بسهولة . وقد قال الصيادون الذين رأوها انهم لم يروا مثلها قبلاً ولا هم يعرفون اسمها . شكلها قريب من الاسطواني وطولها تسعون سنتيمتراً ومحيطها في اعظم جزء منها اثنان وثلاثون سنتيمتراً . جلدها سنجابي اللون خشن الملمس وعليه مربعات تشبه الحراشف ولها اربع زوائد جلدية على جانبيها تشبه السياط السودانية المصنوعة من جلد فرس النهر وهي مكان الزعانف التي في غيرها من الاسماك . اثنتان من هذه الزوائد في مؤخر رأسها عند اتصاله بالجسم

طول الواحدة منهما احد عشر سنتيمتراً واثنتان في مؤخر السمكة تبعدان نحو ٣ سنتيمترات عن طرف ذنبها طول الواحدة منهما تسعة سنتيمترات وعلى الجانب الوحشي من الزعنفة التي منها فتحة مستديرة قطرها نحو نصف سنتيمتر وهي فتحة الشرج ويظهر انها اكثر وضوحاً مما هي في الاسماك الاخرى . ولها زعنفة ظهرية لا اشعة فيها تخرج من منتصف الظهر ثم تأخذ في الازدياد الى ان تندمج في الذنب

وقد فتحنا السمكة المذكورة فوجدنا جلدها صفيقاً سُمكهُ نحو ثلاثة ميليمترات والعضلات التي تحتهُ بيضاء اللون كما هي في سائر انواع السمك ولا عظام لها على جانبي السلسلة الفقرية . اما التجويف الباطني فينقسم الى تجويفين بفصل بينهما حجاب حاجز رقيق فالمتقدم منهما يشبه التجويف الصدري في الحيوانات الاخرى لكنهُ خالٍ من الاضلاع وفيهِ رئتان صغيرتان لونهما احمر ضارب الى البياض ووزنهما نحو سبعة غرامات ونسيجهما خلوي

اما التجويف الخلفي وهو ضعف الجزء الاماني في الاتساع ففيهِ القناة الهضمية وما يتبعها من الاحشاء

وقد بحثنا في بعض الكتب التي لدينا فاهتدينا الى رسمها ووصفها في كتاب « الحيوانات الحية في العالم » للسر تشارلس كورتس الترجمة الفرنسوية الصفحة ٢٢٥ من المجلد الثاني وهذا ملخص تعريب ما جاء فيهِ عن هذه السمكة قال . ان هذا السمك حلقة الاتصال بين الحيوانات التي تعيش برّاً وبحراً (كالضفدع والسمندل) وبين الاسماك لان لهُ رئتان يكاد ان يستغني بهما عن الخياشيم التي تتنفس بها الاسماك الاخرى . واشهر انواعهِ يوجد في استراليا وقد تزن السمكة الواحدة منهُ عشرة كيلوغرامات ويبلغ طولها متراً وثمانين سنتيمتراً وهو يعيش في اسفل الانهار لكنهُ يصعد الى سطح الماء لاستنشاق الهواء في غالب الاحيان . والاسماك الاخرى منهُ تشبه في شكلها ثعبان الماء (الانقليس) وهي كثيرة في انهار افريقية واميركا الجنوبية ويسمى الافريقي منهُ (Protoptère) . واذا جاء زمن القيظ نزل هذا السمك الى اسفل النهر ودفن نفسهُ في الطين وقد يجف الماء ويجمد الطين عليهِ فيبقى على هذه الحال حتى يأتي فصل الامطار فتفكك الطين ويخرج السمك منهُ ويعيش عيشة جديدة في الماء . وقد أخذت بعض هذه الاسماك بما عليها من الطين الى بلاد الانكليز ووضعت في ماء فاتر فتفكك الطين وخرجت الاسماك منهُ حية تعوم في الماء . اما النوع الاميركي فيختلف عن غيرهِ بان زعانفهُ تشبه السياط . اه

ومن الغريب ان السمكة المحفوظة عندنا الآن ينطبق عليها هذا الوصف الذي خصهُ المؤلف بالنوع الاميركي علي ابو الفتوح

[المقتطف] هذا ما كتب بهِ الينا سعادة علي بك ابو الفتوح مدير جرجا ولقد اجاد في وصف هذه السمكة وذكر كل الصفات الجوهرية وبعث الينا بصورة فوتوغرافية لها وهي المرسومة في الشكل الاول من صور هذا الجزء . اما الصورتان الباقيتان فمنقولتان عن كتاب اسماك مصر وهو احسن مؤلف في بابهِ وقد وضعهُ مؤلفهُ المستر الدرسن من عهد قريب واتمهُ المستر بولنجر بعد وفاة المؤلف وطبع سنة ١٩٠٧

ولا يخفى ان ذوات الفقرات تختلف في الوسائل التي تستنشق بها الهواء فبعضها يتنفس الهواء مباشرة برئتيهِ كالطيور والحيوانات اللبونة وبعضها يتنفسهُ من الماء بخياشيمهِ كاكثر انواع السمك[1] وبعضها كالضفادع يكون لهُ خياشيم وهو دعموص ورئتان متى صار حيواناً كاملاً . فلهُ حياتان واحدة في الماء وواحدة في الهواء . اما السمك فلا كثرهِ خياشيم يتنفس بها الهواء من الماء ولهُ مكان الرئة نفّاخة كالثانة مملوءة هواء تعينهُ على الارتفاع والانخفاض في الماء . ولبعضهِ خياشيم ورئتان مكان النفّاختين ويعرف عند بعضهم بالسمك الرئوي (Lung-fish) وبسمك الطين (Mud fish) وعند علماء الحيوان بذي النفسين (Dipnoi) والسمكة التي وصفها سعادة مدير جرجا من هذا النوع وهي احدى الحلقات بين الاسماك المعروفة وبين الحيوانات التي تعيش في الهواء والماء (الا مفيبيا) كالضفدع والسمندل وغيرها

ويعرف من هذه الاسماك ثلاثة اجناس (Genera) تحتها انواع . فاحد هذه الاجناس في استراليا يسمى (Ceratodus) والثاني في اميركا الجنوبية ويسمى (Lepidosiren paradoxa) والثالث في انهار افريقية ويسمى (Protopterus) من لفظتين احداهما لاتينية والاخرى يونانية ومعناها الزعنفة الاولى لان لهُ زوائد شبيهة بالزعانف . ويعرف من هذا الجنس ثلاثة انواع احدها (P. annectens) وهو كثير في انهار غربي افريقية فمتى جاء القيظ دخل في الطين وجعل لهُ فيهِ بيتاً شبيهاً بشرنقة دود الحرير فاذا جاء المطر وفاضت المياه تفكك الطين وخرج السمك منهُ وعام في الماء . والنوع الثاني يسمى (P. dolli) ويوجد في نهر الكونغو . والنوع الثالث ويسمى (P. aethiopicus) يوجد في نيل مصر وقد جاء في كتاب اسماك مصر المذكور آنفاً ان هذا النوع من السمك الرئوي كثير في النيل الابيض والانهر التي تمدهُ مثل بحر الغزال والسُّبُت وبحر الزراف وفي البحيرات التي يخرج النيل منها . وقد

(١) يراد بالتنفس هنا تطهير الدم بأكسجين الهواء

ذكر المؤلف اربعين سمكة فحصها جاءت كلها من هذه الاماكن ولم يذكر ان احداً رأى هذا السمك شمالي الخرطوم ولم يذكره عبد اللطيف البغدادي ولا الدميري ولا القزويني ولا غيرهم من كتّاب العرب في ما نعلم فيكون سعادة مدير جرجا اوّل من رآه في القطر المصري ووصفه

وهذا تعريب بعض ما جاء في كتاب الاسماك المذكور آنفاً « هذا النوع من السمك مستطيل الجسم شبيه بالاسطوانة وقبق الذنب تصل زعنفة ظهره الى رأس ذنبه حيث تلتقي بالزعنفة الشرجية . اطرافه اي زوائده مستدقة مغزلية الشكل وللاماميين منها اهداب جلدية عليها اشعة رقيقة جداً . شقوق خياشيمه خمسة من كل جانب . عيناه صغيرتان جداً . وطرفاه الاماميان اطول من طرفيه الخلفيين ومتى كان ذنبه كاملاً يمتد حتى يصير مثل الخيط . وتبتدئ زعنفته الظهرية في منتصف المسافة بين شرجه ورأسه

وقد قاس المؤلف عشر سمكات فكان اطولها متراً وثمانية وثلاثين سنتيمتراً واقصرها اربعة عشر سنتيمتراً ونصف سنتيمتر وطول الطرف الواحد من الطرفين الاماميين في الاولى ٣٩ سنتيمتراً والطرف الواحد من الطرفين الخلفيين ٢٤ سنتيمتراً وعليه نظن ان طول الاطراف المذكور في الرسالة المنشورة آنفاً خطأ كتابي ولعله ٢١ سنتيمتراً و ١٩ سنتيمتراً كما يظهر من الرسم ومن النسبة بين طول الاسماك المذكورة في كتاب اسماك مصر وطول اطرافها . ويظهر ايضاً ان ذنب السمكة التي وجدت في ترعة بني هلال مقطوع لان طرفه يجب ان يكون دقيقاً كالخيط وكثيراً ما تنقطع اذناب هذه الاسماك عند استخراجها من الغراب

وذكر مؤلف كتاب اسماك مصر ايضاً انه التبس على بعضهم معرفة الفرق بين السمك الرئوي النيلي وبين النوع الآخر الذي في غربي افريقية وذكر الاختلاف بينهما . وقال ان النوع النيلي عرف اولاً سنة ١٨٥٠ اكتشفه الدكتور كنو بلخر في النيل الابيض . وذكر ان اهل بحر الغزال يحضرون في الاماكن التي يقيظ فيها ويستخرجونه ويأكلونه . وقال ايضاً ان اسمه عند عرب السودان دبيب الحوت وتظن انهم يريدون بذلك انه بين الدبيب اي الزحافات وبين الاسماك . والسمك الرئوي النيلي لا شرنقة له كالنوع الآخر الذي في غربي افريقية وكل الاسماك التي أُخذت الى اوربا على قيد الحياة كانت من النوع الثاني . اما النيلي فلم يسمع انه نقل حيّاً الى اوربا